الافتتاحية

قضية الإساءة إلى رسول الرحمة ﷺ والدفاع عنه بالحكمة

خورشيد عالم جميل أحمد المدني

إنّ شخصية رسولنا محمّد ﷺ رفيعة بالغة، وأخلاقه نبيلة قويمة، وهذا قد اعترف به القاصي والداني، والمحبّ والمعادي، و شهد بفضله ودماثة أخلاقه أعداؤه الكفار، ونطق في أوصافه الحميدة القرآن والسنة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] فالله عز وجل رفع قدر نبيه ﷺ، وجعل له الثناء الحسن، وشرّفه بذكره معه في الأذان والإقامة والخطب وغيرها من الأمور، فله ﷺ في القلوب من التعظيم والمحبّة ما ليس لبشرٍ سواه.

وتجد كتب السيرة مليئة بأخباره الشريفة، وشيمه الكريمة، وقد أُلّفت كتب كثيرة متنوّعة عن حياته ﷺ وسيرته العطرة، فلا ترى أحدًا في هذا الكون كُتب عنه مثل ما كتب عن نبيّنا الكريم ﷺ فهو رسول أمن وسلام، وداعٍ إلى هدايةٍ وإيمانٍ، فهو أسوة نحتذي على منواله، ونستنّ بسنتّه في جميع شؤون حياتنا الدينية والدنيوية.

فنظرًا لهذه المناقب والفضائل، وما ورد في الأحاديث الصحاح يجب علينا أن نحبّه ونقدّمه على كل أحدٍ، وحبّه ﷺ دليل على إيمان المرء وإسلامه كما يجب علينا تجاهه ﷺ الذبّ والدفاع عنه بكل سبيلٍ مشروعٍ، وطريق تقتضيه الظروف والإمكانيات، لأنّ الله عزّ وجلّ أمر المسلمين بنصرته وتأييده.

ولاشكّ أنّ ذلك داخلٌ في تعظيمه وتوقيره ونصرته، فعلينا أن نحميه وننصره حسب طاقتنا ووسعنا، ونتّخذ الإجراءات القانونيّة ضدّ المسيء إلى ذاته ﷺ،

ومنقص قدره كائنًا من كان، وإذا ما دافعنا عنه ﷺ وقت الإساءة إليه، فيلزم منه عدم تقديم محبّته فوق كل أحدٍ؛ لأنّ المرء إذا أسيء إلى أبويه وإلى كل من يحبّه بادر بالدفاع وكفّ الأذى عنهم، فواجبٌ على كل مسلمٍ غيورٍ حماية الرسول ﷺ والدفاع عنه، وردّ ما أثير حوله من أباطيل بالحكمة، والإجابة المقنعة لتفنيد تلك الإشاعة ودحضها.

علمًا بأنّ بعض المسلمين أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يرون أنفسهم متأهلّين وقادرين على معاقبة المجرمين بالقتل والحبس والضرب، مما يسبّب الفوضى، والفساد في الأرض، بينما ديننا الإسلامي لا يأمر كل أحدٍ أن يعاقب شاتم الرسول ﷺ والمسيء إليه، وليس من الحكمة بشيءٍ أن يتولّى كل واحدٍ منّا لمعاقبة أحدٍ، وتعزيره وتأديبه؛ بل يرجع هذا الأمر إلى ولاة الأمور أو نُوّابهم.

لا سيّما إذا كان المسلمون عائشين بين ظهراني الكفار تحت سيطرتهم وحكومتهم، فعلى الجميع أن يحافظ على نفسه، وعلى إخوته من المسلمين، ولا ينشر على مواقع التواصل الاجتماعي أيّ تهديدٍ أو إنذارٍ لقتل أحد وذبحه لما فيه من الضرر بالمسلمين، ولا شك أنّ هذه الخطوات إنّما يتخذّها الأغبياء والسفهاء، فعلى الجميع يدافع عن النبي ﷺ بالوسائل الممكنة في ضوء قوانين الدولة؛ لأنّ المسلمين يعيشون في الأقلية، والكفّار يتربّصون بهم الدوائر، ويبحثون عن فرصةٍ لوصف المسلمين بالإرهاب والتطرّف.

هنا أشير على إخوتنا ببعض الوسائل المعينة، والخطوات المهمّة في الذبّ والدفاع عن رسول الرحمة ﷺ.

أوّلًا: تنشئة الأجيال المسلمة على توحيد الله، ومحبة رسوله، واتباع سنتهﷺ.

نحرص على تربية أولادنا التمسّك بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وغرس أخلاق النبي ﷺ وشمائله في قلوبهم، كي يعتزّوا بدينهم الحنيف في كل شؤون الحياة الدنيوية، ولا يدخل عدوّ من أعداء الإسلام في قلوبهم الكراهية ضد حبيبنا الرسول ﷺ، ولا الاستنكار في زواجه ﷺ بالأزواج المطهّرات، وكذلك لا يزرع في نفوسهم البغضاء

والشحناء خلاف رسول الرحمة ﷺ.

لا شكّ أنّ الشبهات التي أثيرت حول زواج النبي ﷺ بعائشة رضي الله عنها وغيرها من المطهرات لها دورًا شنيعًا في انحراف بنات المسلمين، لو تمكّنت في نفوس بناتنا، وأخواتنا وتأكّدت، وأشربت في قلوبهن كراهية الإسلام ورسوله، وتعليماته فتكون بناتنا وأخواتنا ضحايا للفسق والكفر، فلا بدّ من إزالة هذه الشكوك، ودرء هذه الشبهات، وتبديد هذه المنكرات بتعليمهنّ حبّ الرسول وسنّته ﷺ كي يبتعدن عن هذه المنكرات كلّها، ويطّلعن على مؤامرات الأعداء ، ومكائدهم ودسائسهم المنظّمة، ويحطّمن أملهم الخفي، ويخيّبن قصدهم الشنيع الباطن في رفع هذه الإشاعات وفشوّها في أوساط المسلمين، وتزول هذه المخاوف والمخاطر من أذهاننا بتربيتهنّ على توحيد الله، وتنشئتهن على حبّه، وحبّ رسوله، وسنته ﷺ.

ثانيًا: رفع قضية الإساءة إلى المحكمات.

على كلّ غيورٍ مسلمٍ رفع قضية الإساءة إلى المحكمات، والمطالبة بمعاقبة المسيئين على سيئتهم، والمجرمين على جرمهم الشنيع، لأنّ معظم القوانين والدساتير في الحكومات تهتمّ بحماية الإنسان وعرضه، وتكريمه، ومقدساته ودياناته، وتتصدّى بالعقوبة لمن سبّ أو أساء إلى أي شخصٍ أو مقدساته، أو أمر من دياناته.

ثالثًا: انتقام الله من مسيء الرسولﷺ عند عدم قيام المحكمات بمعاقبته.

جرى العديد من المحاولات الممقوتة المستهزئة بالرسول ﷺ بعد بعثته من قبل حثالة من الناس، ومتضعي الأقدار؛ ولكن الله كفاه وعصمه من جميع الإيذاءات، ووصمة النجسات والقذرات، ولا يضرّ السحاب نبح الكلاب. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]. أي إنا كفيناك المستهزئين يا محمّد ﷺ، الذين يستهزئون بك ويسخرون منك، فاصدع بأمر الله، ولا تخف شيئًا سوى الله، فإنّ الله كافيك من ناصبك وآذاك كما كفاك المستهزئين. وكان رؤساء المستهزئين قومًا من

قريش معروفين. (تفسير الطبري ١٧/ ١٥٣).

وإذا لم تقم تلك المحكمات بمعاقبة المسيء والجاني، فاعلموا أنّ الله منتقم منه ممن طعن على رسوله وسّبه واستهزأ به، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].فهذا إخبار الله عز وجل بأنّه يكفيه المستهزئين والمسيئين إلى نبيّه الأمين، ومثل هذه الوقائع والنظائر قد حصلت في زمن السلف، وقد شاهدوا عيانًا بأبصارهم جزاء طعّان النبيّ ﷺ وسّابه. فالواجب على كلّ فردٍ من أفراد الأمّة أن يفعل كل واحدٍ ما يقدر عليه من ذلك مما لا يؤدّي إلى فساد، وضرر متعدٍ إلى غيره من المسلمين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله– في عدم تمكين معاقبة مسيئ الرسول ﷺ ومؤذيه: " ومن سنّة الله أن من لم يمكن المؤمنون أن يعذّبوه من الذين يؤذون الله ورسوله فإنّ الله سبحانه ينتقم منه لرسوله ويكفيه إيّاه، والقصة في إهلاك الله واحدًا واحدًا من هؤلاء المستهزئين معروفة، قد ذكرها أهل السير والتفسير. وقد كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر وكلاهما لم يسلم لكن قيصر أكرم كتاب النبي ﷺ، وأكرم رسوله، فثبت ملكه فيقال: إنّ الملك باقٍ في ذرّيته إلى اليوم، وكسرى مزّق كتاب رسول الله ﷺ واستهزأ برسول الله ﷺ فقتله الله بعد قليلٍ، ومزّق ملكه كلّ ممزّقٍ، ولم يبق للأكاسرة ملك. وهذا والله أعلم تحقيق لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]. فكل من شنأه أو أبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره". (الصارم المسلول١٦٤).

رابعًا: كتابة المقالات، وترجمة الكتب المعرفة بسيرةالمصطفى وحقوقهﷺ.

يجب على المسلمين أن ينشروا سيرة النبي الكريم ﷺ الرفيعة، وأوصافه النبيلة في أوساط غير المسلمين، ويوضّحوا لهم جميع جوانب السيرة العطرة، ويقوموا بنشر سيرته ﷺ. ولاريب أنّ هذا يحتاج إلى كتابة المقالات بلغتهم، وعقد المحاضرات والندوات، والقيام بترجمة بعض أهمّ كتب السيرة النبوية وطباعتها، وتوزيعها في أوساطهم، كي تكون علاجًا ونورًا لهم في التعرّف على خلقه القويم، ودينه المتين ﷺ.

تأمّلوا الآن واختاروا طرق الدفاع المفيدة ضدّ المسيء؛ لأن الاكتفاء بالإجراءات الكلامية لا يفيد غير المسلمين، ولا ينتفعون بها، بل لا تكون مزيلة شبهاتهم وطعناتهم، ولا تكون علاجا لهم؛ بل كل ما يكتب المسلمون ويخطبونه لا يصل إلى غير المسلمين، فحريّ بنا الدفاع عن النبي ﷺ بتوصيل المعلومات الصحيحة بلغتهم، كي يتجنّبوا الإشاعات، ويميّزوا بين الخبيث والطيب مما تثار ضدّ شخصية الرسول ﷺ، ويعالجوا أذهانهم، ومستوى أفكارهم، ويوسّعوا أفق تصوراتهم تجاه المسلمين ونبيّهم الأمين ﷺ.

خامسًا: قيام العلماء والدعاة والخطباء بشرح كافة جوانب سيرته ﷺ.

إن قيام العلماء والدعاة والخطباء بشرح جوانب سيرته ﷺ له دور فعّال للتصدّي بهذه الأفكار والتهم التي قد يتأثّر بها بعض ضعفاء الإيمان من المسلمين، وبذلك يتعرّف كل مسلم حقوق النبي ﷺ وما يجب عليه من الدفاع عنه بطرقٍ إيجابيةٍ آخذًا بالبصيرة والحكمة في كل تصرفاته وأحواله.

سادسًا: مقاطعة اقتصادية بالدولة التي وقعت فيهاجريمة الإساءة إلى الرسولﷺ.

من العناصر المعينة على حمايته والدفاع عنه ﷺ المقاطعة الاقتصادية بالدولة التي تقع فيها إهانة الرسول ﷺ والإساءة إليه، ورفع منتجاتها من بلاد المسلمين حال ازدياد التأثير والقوة في الدفاع عنه ﷺ كما هو معلوم لدى كل ذي عقل ما جرى بسبب المقاطعة وتأثيرها في القريب.

أخيرًا: أدعو الله أن يوفّقنا لتمسّك الكتاب والسنّة، والاعتزاز بهما، والتخلّق بخلق نبيّنا الأمين ﷺ، والتحلّي بشيمه الحميدة ونشرها في أوساط غير المسلمين، وتنشئة الأجيال المسلمة على حبّه وتعظيمه ونصرته، والذبّ والدفاع عنه ﷺ بالحكمة والبصيرة.

وصلىّ الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم.

***